القبيح في أشعار الرابطة القلمية (جماليته و مظاهره)
(ميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي، ونسيب عريضة) نموذجاً
دراسة جمالية

همسة برهان عباس – طالبة دكتوراه
إشراف أ.د. نزار محمد عبشي
جامعة البعث
كلية الآداب

ملخص:

(يدرس هذا البحث المفهوم الجمالي لقيمة القبيح في أشعار ميخائيل نعيمة وإيليا أبي ماضي ونسيب عريضة، بوصفها قيمة مناقضة لقيمة الجميل، لأنها تقوم على إبراز انتفاء الانسجام والاعتدال والتناسق، وإظهار التشوه و التنافر في الشكل، وترتكز على وصف الدناءة والتفاهَة في الفعل، وتقوم هذه الدراسة على تأصيل مفهوم قيمة القبيح وفق نظريات علم الجمال، ثم تسعى إلى استجلاء مظاهره في أشعار الشعراء آنفي الذكر، معتمدة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يرتكز على نظريات علم الجمال، و تبين هذه الدراسة أن قيمة القبيح لم تكن واسعة الانتشار في أشعارهم، لأنهم كانوا أكثر اهتماماً بإبراز الجمال و الخير والحب، وجاء تجسيدهم للقبيح في سياق ذم التشوه و التفاهَة والدناءة في شكل الإنسان وأفعاله بقصد التنفير من القبيح والابتعاد عنه والانصراف إلى الجمال، وفي هذا السياق برزت قيمة القبيح في أشعارهم تجسد وعياً جمالياً يتسق مع النظريات الجمالية فكرياً وفنياً ويرتبط باتجاهاتهم الفكرية التي تأسسَت عليه مبادئ الرابطة القلمية .

الكلمات المفتاحية: القبيح، أشعار، ميخائيل نعيمة، إيليا أبو ماضي، نسيب عريضة.

The Ugly in the Poems of the Pencil League (Its Aesthetics and Its (Appearances
Michael Naima, Elia Abu Madi, and Nassib Arida) as an example Aesthetic) study

Summary

This research studies the aesthetic concept of the value of the ugly in the poems of Mikhail Naima, Elia Abi Madi and Nassib Arida, as a value that contradicts the value of the beautiful, because it is based on highlighting the absence of harmony, moderation and consistency, and showing distortion and disharmony in the form, and is based on describing the meanness and triviality in the act, and this study is based On the rooting of the concept of the value of the ugly according to the theories of aesthetics, then it seeks to clarify its manifestations in the poems of the aforementioned poets, relying on the descriptive analytical approach that is based on the theories of aesthetics, and this study shows that the value of the ugly was not widespread in their poems, because they were more An interest in highlighting beauty, ،goodness and love
Their embodiment of the ugly came in the context of denouncing the distortion, triviality and baseness of the human form and his actions with the intention of .alienating the ugly and moving away from it and devoting to the beauty

Keywords: Al-Qabeeh, poems, Michael Naima, Elia Abu Madi, Nassib Arida .

مقدمة:

تتجسد قيمة القبيح بوصفها مفهوماً جمالياً بمظاهر تشوه الشكل ومجافاة التناسق والاعتدال والانسجام، ودناءة السلوك وتفاهته وانحطاطه وفق المعيار الاجتماعي، وقد قام هذا البحث من خلال هذا المنظور باستقصاء مفهوم قيمة القبيح في التفكير الجمالي، وتحديد مفهوم يكون إجرائياً في تطبيقه على الأشعار التي احتوت على قيمة القبيح.

هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة مظاهر قيمة القبيح في أشعار عينة من شعراء الرابطة القلمية وهم ميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضي ونسيب عريضة نموذجاً معتمدة على المنهج الوصفي التحليلي المستند إلى نظريات علم الجمال، وهو منهج يعنى بالكشف عن الوعي الجمالي عند هؤلاء الشعراء و تجليات تجسيده فكرياً وفنياً، وتسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن تجسيدهم الفكري و الفني للقيمة الجمالية للقبيح .

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في تحليل صور القبيح في أشعار أعلام من شعراء الرابطة القلمية، والكشف عن الوعي الجمالي الذي يلاقي نظريات علم الجمال وفلسفته .

الدراسات السابقة:

على الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت هؤلاء الشعراء إلا أننا لم نحظ بدراسة تدرس قيمة القبيح عندهم، ومن الدراسات السابقة التي عنيت بدراسة القبيح دراسات نظرية شكلت أساس هذه الدراسة مثل مبادئ علم الجمال لشارل لالو[1] والإحساس بالجمال لجورج سانتيانا والقيم الجمالية لمحمد عزيز نظمي سالم[2]، أما الدراسات التطبيقية فكانت " في النقد الجمالي " للدكتور أحمد محمود خليل[3] والمفاهيم الجمالية في الشعر العباسي للدكتور أحمد طعمة حلبي[4]، و تجليات القبح في الشعر العربي السوري المعاصر، نماذج مختارة، لمحمد بشير الأحمد [5]،و التجليات الجمالية للقبح في الأدب الجزائري القديم ، لفؤاد فياض شتات[6]، وقيمة القبيح في شعر قيس بن الملوح ، لمحمد ديبو النجار[7]، وجمالية القبيح في شعر دعبل الخزاعي، لأسامة لطفي شوربجي أحمد [8]، ولم تتناول الشعراء المذكورين لذلك كانت هذه الدراسة جديدة في تطبيقها على نعيمة وأبو ماضي وعريضة.

منهج البحث:

---

[1] لالو شارل ، تر: مصطفى ماهر ، تق : د. يوسف مراد ، 1959– مبادئ علم الجمال الإستطيقا ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الجلبي، القاهرة .

2 – القيم الجمالية: محمد عزيز نظمي سالم، دار المعارف، القاهرة، مصر ،(د.ت).

3– د ، خليل . أحمد محمود ، 1996 – في النقد الجمالي. ط1 ، رؤية في الشعر الجاهلي: دار الفكر، دمشق، سورية .

4 د. حلبي أحمد طعمة ، 2006 – المفاهيم الجمالية في الشعر العباسي . وزارة الثقافة، دمشق.

5 – تجليات القبح في الشعر العربي السوري المعاصر : نماذج مختارة ، محمد بشير الأحمد ، جامعة البعث ، 2022.

6 –التجليات الجمالية للقبح في الأدب الجزائري القديم : فؤاد فياض شتات ، مجلة جامعة الحسن بن طلال ،المجلد 3 عدد (2) ،2017 .

7 – قيمة القبيح في شعر قيس ابن الملوح ، محمد الديبو النجار ، رسالة اعدت لنيل درجة الماجستير . جامعة البعث ، 2022

8 – جمالية القبيح في شعر دعبل الخزاعي ، أسامة لطفي الشوربجي أحمد ، مجلة الدوريات المصرية ، العدد 34 ،2021 .

اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف القيمة وتجسيدها في أشعار هؤلاء الشعراء.

حدود البحث:

الأشعار التي تناولت القبيح في: ديوان إيليا أبي ماضي الأعمال الكاملة وهمس الجفون لميخائيل نعيمة والأرواح الحائرة لنسيب عريضة.

مصطلحات البحث:

المفهوم الجمالي: يراد به دراسة المفهومات الجمالية وفق نظريات علم الجمال.

القبيح: دراسة مفهوم القبيح وفق تصنيفات علم الجمال.

الجديد المتوقع من هذا البحث:

الكشف عن مظاهر القبيح في أشعار ميخائيل نعيمة وإيليا أبي ماضي ونسيب عريضة، وارتباطها برسالاتهم الشعرية التي تهدف إلى الإصلاح ودعوة المجتمع إلى المحبة والخير والجمال.

طرق وأساليب تجسيد قيمة القبيح عند ميخائيل نعيمة وإيليا أبي ماضي ونسيب عريضة.

الكشف عن الوعي الجمالي عند هؤلاء الشعراء الذي يلاقي نظريات علم الجمال.

أثر إبراز القبيح في تحقيق الرسالة الشعرية وأهدافها عند هؤلاء الشعراء.

القبيح في الرؤيا الجمالية:

القبيح في المفهوم الجمالي هو تصوير البشاعة والتشويه اللذين يلحقان بشكل الكائنات أو سلوكها، وتجعلها تنافي المرغوب والمحبوب جمالياً وفق معيار المجتمع، وأعرافه وقيمه التي تواضع أفرادها على معايير حبها أو كرهها، فالقبيح ينشأ من تصوير قبح هيئة شكل الجسد وأعضائه، وتفاهة أفعال الكائن والمقزز في أخلاقه و سلوكه وفق رؤية المجتمع[1].

وتتجلى القيمة الجمالية للقبيح بانتفاء الانسجام والتناسق والتناسب والانتظام في الشكل المرئي، وفي الدناءة والسخافة والوضاعة في الأفعال، وهو في الشعر تجسيد فني، ومعنوي لتشوه الأشكال و الأفعال، ومخالفة مظاهرهما للألفة النفسية و الذوق السائد في مجتمع ما، بتعبير أدق هو ضد الجميل، وتشوهه وفق ما ذهب إليه الجاحظ فيقول: " القبح هو كل شيء خرج عن الحدّ في خَلق، أو خُلق حتى في الدين والحكمة اللذين هما أفضل الأمور، فهو قبيح ومذموم"2. "فالجاحظ" يربط القبح بانتفاء تآلف أجزاء الشكل، ودقتها واعتدالها؛ لأنّ ائتلاف عناصر الشكل تشكل الانطباع الجمالي عنه، كما يربطه بغياب الأخلاق و الحكمة والرزانة في سلوك البشر.

فالقبح مناقض المألوف والمحبب شكلاً وفعلاً، وإن كان القبيح درجة من الجميل إلا أنها درجة تفقد الجميل سماته وتعكس التشوه الذي أدى إلى نشوء القبح .

لالو شارل ، تر: مصطفى ماهر ، تق : د. يوسف مراد ، 1959- مبادئ علم الجمال الإستطيقا ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الجلبي، القاهرة . ص:296،312

2 -عطوي فوزي ، 1988 - التربيع والتدوير الجاحظ . ط1 ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ، ص: 62.

فالتجسيد الجمالي للقبح هو جمال فني، لذلك يبدو تركيب جمالية القبيح متناقضاً ظاهرياً، لكن حقيقته تكمن في جانبين الأول هو التجسيد الجمالي للقبح الذي يكتسب سمة الجمال ومهارته من البراعة في تصويره، و الثاني هو المدلول السلبي على المفهومات الجمالية النقيضة للمرغوبة، فيصاحب لفظ القبح الجمال، فالقبح تجل للتشوه كما يرى، " أمبرتو إيكو" "أن معاني القبح تكون في كلّ ما تشي به مظاهر الحياة من تشوّه وتضارب واختلال وتنافر"1.

ولم يخل الشعر في مختلف مراحله من صور للقبيح، تهدف إلى ذمه والدعوة إلى الترفع عنه، و التنفير منه [2]، وهذا لا ينفي أن القبح في مختلف صوره يتسم بصفة النسبية وتختلف بحسب مزاج الشاعر، وكثيراً ما كان الشعراء يتخذون القبيح عتبة للسخري و الهزلي[3].

ونحن في هذا البحث لن نستقصي الصور التي وظفت القبيح لتشكيل سخرية فتلك صور اتخذت القبح عتبة لتكوين السخرية، و سنقتصر على دراسة قيمة القبيح في صور الإنسان عند شعراء الرابطة القلمية نعيمة وأبو ماضي وعريضة، بل سنقتصر على قيمة القبيح، ونفصل في المظاهر و المكونات التي خولتنا أن نحصرها بهذه القيمة .

قيمة القبيح في شعر ميخائيل نعيمة:

وارتبطت قيمة القبيح دائماً بوظيفة تشكيل الشعور بالنفور، والأنفة بهدف الترفع عن القبيح، والارتقاء إلى الجمال في السلوك والمواقف، أما تجسيد القبيح في شكل الإنسان غالباً فكان بدوافع تسفيه خصم جراء مواقف شخصية، ويبدو لقارئ شعر ميخائيل نعيمة أن خصوصية رسالته الشعرية ومرتكزاتها الفلسفية، والفكرية نأت به عن تجسيد قبح شكل الإنسان، واتخاذه مادة شعرية لذم قبحه، ولا يفترق موقف نعيمة كثيراً في النأي عن تجسيد قبح المواقف والأفعال عن زملائه الشعراء في الرابطة، وهو أكثر ميلاً إلى تجاوز تجسيد القبح إلى التحليق في أفكار ورؤى مجردة، أو ذات طوابع صوفية تشغله عن تصوير مظاهر القبح، "لأن العلاقة وثيقة بين الأحكام الجمالية والأحكام الخلقية، بين مباني الجمال والخير (...) والأحكام الجمالية إيجابية أساساً، بمعنى أنها تنطوي على إدراك لما هو خير، (...) والجمال ينبع بالضرورة من ذات الموضوع ويقوم على طبيعة التجربة المباشرة"4، وميخائيل نعيمة له فلسفته في تجسيد القبيح، فهو لا يسعى إلى تجسيده، بل يبحث ما وراء مظاهر القبيح، يقول نعيمة:" أنا أؤثر للفن أن يمثّل الأشياء كما أتناولها بحواسي لا أن يعطل الأشياء و يعطّل معها حواسي، فحسبي من حواسي ما أعانيه منها. ولكنّني أريد من الفن ألاّ يكتفي بتمثيل الأشياء كما هي، بل يدلّني من ورائها على حقيقتها غير المحسوسة. وعليه إذا هو لم يستطع أن يحمّل القبيح ألاّ يقبّح الجميل!. و ليترك لي قضيّة تجريده

3 – إيكو أمبرتو ،الحسن لينا هويان ، 2008 – من ثقافة الجمال إلى القبح .العدد 636 ، جريدة الثورة السورية.

2 – د. خليل أحمد محمود في النقد الجمالي،1996– رؤية في الشعر الجاهلي. ط1 ، دار الفكر، دمشق ص: 296.

3 – د. حلبي أحمد طعمة ، 2006 – المفاهيم الجمالية في الشعر العباسي . وزارة الثقافة، دمشق.، ص: 296.

4 – الإحساس بالجمال، ص : 62.

من ظواهره، والغوص إلى باطنه"[1]. ولكن ذلك لا يجعل شعره يخلو تماماً من شذرات تمس قيمة القبيح في جوانب مهمة.

وأبرز الشاعر بعض المظاهر المعنوية لقبح الجوع الذي أزرى بمختلف المجتمعات العربية، و الظروف التي أفقدت الشاعر الأصحاب الذين يناجيهم، ولم يبق إلا أشباح مواتاهم:

"لأنَّ الجوعَ لم يتركْ لنا صَحْبَاً نناجيهم

سوى أشْبَاح مَوْتَانا"[2]

يصور الشاعر هيئة الأصحاب على شكل أشباح موتى، وهو تحول في مظهر الإنسان من الجميل إلى القبيح أو المخيف و المرعب، فتحول مظهر الإنسان بفعل الجوع إلى شبح، هو مسخ و هو من القبيح وفق لالو " القبح في الطبيعة هو مبدئياً ما كان مسخة"[3] ،بمعنى ما لحقه من تشوه، ولم يصف نعيمة التشوه بقصد إبراز القبيح أو التغني به لذاته، بل اتخذه وسيلة للتنفير من الحال التي صار إليها الإنسان بفعل الحرب، وفق ما ذهب إليه زهير بن أبي سُلمى من قرون إلى ذم فعل الحرب و ما تنتجه من تشوه خلقي وأخلاقي، وتقبيح للإنسان لأنها تشوهه خارجياً وداخلياً [4]:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجّم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمـــــة وتضر إذا ضريتموها فتضـــرم

فتعرككم عرك الرحا بثفالهـــــا وتلقح كشافاً ثم تنتج فتتئم

ويستمر الشاعر في رسم صور قبيحة للبؤس الذي وصل إليه المجتمع، حيث تضج فيه كائناته البشرية بلا هوية، ولا معنى للوجود، يكسوها رداء الخزي والعار، و يرى الشاعر أن هذا المجتمع الذي قبح وجوده أنتن، وساءت رائحة عفنه، ولا بد من مواراته الثرى، فيطلب من أخيه الذي يجرده من ذاته أن يحمل الرفش، ويتبعه ليحفرا خندقاً و يردما سوءة الأحياء بعد أن وارى جيف الموتى التراب:

"أخي ! مَنْ نحنُ ؟ لا وَطَنٌ ولا أَهْلٌ ولا جَارُ

إذا نِمْنَا، إذا قُمْنَا رِدَانَا الخِزْيُ والعَارُ

لقد خَمَّتْ بنا الدنيا كما خَمَّتْ بِمَوْتَانَا

فهات الرّفْشَ وأتبعني لنحفر خندقاً آخَر

نُوَارِي فيه أَحَيَانَا" [5]

تحمل قصيدة "أخي" في أغلب مقاطعها مضامين قبح الحال التي وصل إليها الإنسان العربي في تلك المرحلة، فيهمس الشاعر ألمه بقبح هذه الحال إذ بات مشرداً ينهب ذاته الاغتراب فلا وطن ولا أهل ولا جار، فيتعمق إحساسه بقبح فقد الألفة والسكينة، وهذه الكينونة العارية من الإحساس بالانتماء، مما جعله يشعر بحاجة

1 – أحاديث مع الصحافة: ميخائيل نعيمة، مؤسسة نوفل، بيروت، ط2، 1989،ص: 244.

2 – نعيمة ميخائيل ، 1988 – همس الجفون ، ط5 مؤسسة نوفل ، بيروت نوفل، ط5، 1988، ص:14.

3 – مبادئ علم الجمال، ص: 121.

4 – ينظر : شرح شعر زهير بن أبي سلمى: تح: د. فخر الدين قباوة ،دار الفكر، دمشق، سورية، و دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص:26، 27.

5 – نعيمة ميخائيل ، 1988 – همس الجفون ، ط5 مؤسسة نوفل ، بيروت ، ص: 15.

مواراة هذا الموت، ورسخ الإحساس بالقبح تشكيل لفظي يضج بدلالات القبح، والتفاهة (الخزي والعار، خمت، نواري، نحفر) وهي ألفاظ تعمق الإحساس بالخراب و الموات وقبح التحول الإنساني إليها.

و"نعيمة" يشير إلى أن هذه القصيدة "صور لا يُقصَد منها أن تبهر العين، وتخلب الأذن. بل أن تنفذ في صميم القلب والروح"[1]، إنه يلهث وراء المعنى، قبل كل شيء ولذلك فهو يرسم معاني قبح الأحوال متمثلاً في وصف انتشار الجوع والذل والخزي و الخمول، والتعفن والخم، وهي معان توحي بمظاهر حسية قبيحة لهيئات إنسان ذاك المجتمع.

ويحمل تجسيد ذلك جمالية القبح التي توظف شعرياً بحيث تكون نسيجاً براقاً يسهم بجمالية صياغته الشعرية في بناء الشعور بالتنفير من القبيح، وتجلت هذه الصياغة باللغة الهامسة التي تشرك الآخر ببوحها وهمومها، حيث يبوح نعيمة بموقفه الرافض للقبيح بشعرية تعتمد نسيجاً هامساً يكون فيه "الطبع في غير جهد ولا إحكام صنعة إنما هو إحساس بعناصر اللغة واستخدام تلك العناصر في تحريك تلك النفوس وشفائها مما تجده " [2] وقد ربط مندور الهمس بالبعد الإنساني للشعر" الهمس ليس معناه قصر الأدب أو الشعر على المشاعر الشخصية، فالأديب الإنساني يحدثك عن أي شيء يهمس به، فيثير فؤادك ولو كان موضوع حديثه لا يمت إليك بسبب"[3].

ويتسق نعيمة مع رؤية لالو في أن " القبح هو رفض الانسجام مجابهة غير القابل للحل، أو هو حل المشاكل الأخرى أو هو الحياة في هذا الانسجام عندما يكون كل صراع حُسم، ذلك أنه يوجد قبح للمتحقق وقبح للمطلوب وقبح للمنعدم، وهذه الأنواع هي على التوالي عكس الجميل وعكس الرائع ثم عكس الناكت"[4]، وهذا يحقق أن القبح ليس مظاهر تشوه لجسم الإنسان، أو هيئة حية أو طبيعية، بل نتائج صراع، وانعدام وجود، فالأفكار والرؤى الخائبة قبح، فنعيمة لا يلجأ في هذا السياق إلى تقبيح شكل الدودة، لأنها أميل إلى ربط القبح بالفعل، فهو لا يرى الدودة المقبحة في كثير من الأعراف البشرية قبيحة أو دميمة :

وما أنت في عين الحياة دميمة[5]

تنطوي رؤية نعيمة على أن القبح طارئ مذموم لا يستوجب تظهيره، فلم يعن كثيراً بتجسيده، أما ما ورد في أشعاره من مقطعات تتجلى فيها قيمة القبيح فهي في سياق دعوته للجمال و المحبة والخير، فهو يتسق مع مقولة " مهمة العالم و الفنان ليس فقط تفسير العالم علمياً وجمالياً، بل تغيير العالم علمياً وجمالياً ليخدم في النهاية الإنسان وسعادته ويصبح عالماً تسوده مبادئ العدالة والمحبة "[6]، و التغيير الجمالي يتجاوز الوقوف إزاء المظاهر السلبية طويلاً وذمها إلى تغييرها جمالياً، و نعيمة في ريادة أفق فلسفته للقبيح يتسع في رفض ربط القبح بهيئة الكائنات وشكلها، بل بالأفعال، وهو بتعبير أدق يرفض تقبيح الدودة شكلاً ووجوداً وفعلاً، وهذا المذهب يفسر رؤيته للقبيح وتجسده أبياته التي تقول:

لعمرك يا أختاه ما في حياتنا

1 – سبعون (المرحلة الثانية): ميخائيل نعيمة، مؤسسة نوفل، بيروت، ط7، 1991، ص:81.

2 – في الميزان الجديد: د. محمد مندور، مؤسسات ابن عبد الله، تونس، ط1 1988، ص: 77.

3 – المرجع السابق، ص: 77.

4 – مبادئ علم الجمال،ص: 121.

5 – نعيمة ميخائيل ، 1988 – همس الجفون ، ط5 مؤسسة نوفل ، بيروت ، ص: 85.

6 – مفهوم الجمال في الفن والأدب: د. عدنان الرشيد، كتاب الرياض، العدد 1، الرياض، إبريل، 2002، ص: 290.

مراتب قدر أو تفاوت أثمان
مظاهرها في الكون تبدو لناظر
كثيرة أشكال عديدة ألوان
وأقنومها باق من البدء واحداً
تجلت بشهب أم تجلت بديدان[1]

يخلص نعيمة أن الجوهر الجميل هو الوجود وهو كامن في التكوين الأول للكائن، سواء أكان شهاباً أم دودة، وتظهر فلسفته التي تقوم على وحدة الوجود في هذه الرؤية، والوجود عنده الجميل ومن يعتدى على الجميل يعتدي على الوجود والعداء للوجود قبح فكري وبذلك يتسق مع فلسفته في المقطعات التي دارت حول فكرة القبيح.

ولذلك لم يعن نعيمة بتجسيد القبيح في أشعاره بصورة تتيح تقصي قيمتها الجمالية بسعة، لأن نعيمة في شعره يستجيب لنوازعه الفكرية وفلسفته الصوفية، وهي في مبادئها تهتم بالمعنى لا الشكل في الوجود، وغالباً ما يظهر القبيح في الشكل و" تأملاته الطويلة في الحياة و الطبيعة هدته إلى أن يهتم بالروح قبل الجسد، وبالخالد قبل الفاني، فوجه إلى هذه الناحية كل عنايته، وركز فيها خلاصة أدبه وخلاصة عقيدته وإيمانه"[2]. لذلك لا نجد عنده سعة تجسيد القبيح الذي يصور تشوهات شكل الإنسان، ولا نحظى إلا بخطرات وردت في أسيقة قصائد تنحو مناحي جمالية أخرى، وحال توجهه الفكري في شعره دون عنايته بتصوير مظاهر القبح والاتساع به، فكان شغوفاً بتأمل رؤى فلسفية عليا تبحث ما وراء المظاهر وما وراء الجسد الذي يشكل أوسع مادة للقبيح.

قيمة القبيح في شعر إيليا أبي ماضي:

عني "إيليا أبو ماضي" بتجسيد قيمة الجميل في صورة المرأة، وأفاض في إكسابها سمات جمالية حسية ومعنوية مثالية منسجماً مع نزعته التفاؤلية والبحث عن الجمال، والاستغراق بحب الحياة، ولم تحل هذه النزعة في أسيقة شعره دون ذم مظاهر القبح في صور الإنسان، ولكن لم يتضخم ذلك في شعره، ويشكل لوحات جمالية للقبح على كثرة، واتساع، فظهرت في صورة المقارنة بين الجميل الفطري الطبيعي، والجميل المصطنع، فقد طالعنا في قصيدة " الحسن لا يشرى ولا يستجلب" بذم الجمال المصطنع ورآه زائلاً، لا يعتد به، واعتد بالأخلاق الفاضلة التي تعطي جمال الجسد روحه وحياته، فقبح الحسن المستجلب، وقبح جمال الجسد الذي لا يغتني بالخلق :

" قل لِلغَواني إنَّـــــــها خُلِقَت كَذا الحُسنُ لا يُشـــرى وَلا يُستَجلَبُ
فَإِذا بَلَغتُنَّ الجَمـــــــــــالَ تَطَرّياً فَاِعلَمـــــــنَ أَنَّ بَقاءَهُ مُستَصعَبُ
هَيهاتِ ما يُغني المِلاحَ الحُســنُ إِن كانَت خَـلائِقُهُنَّ لا تُستَعذَبُ
إِنّي بَلَوتُ الغانِيـــــــــاتِ فَلَم أَجِد فيهِنَّ قَطُّ مَليــحَةً لا تَكذِبُ"3

1 – نعيمة ميخائيل ، 1988 – همس الجفون ، ط5 مؤسسة نوفل ، بيروت ، ص: 86.

2 – أدب المهجر : عيسى الناعوري، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1977، ص: 379.

3 – ديوان إيليا أبو ماضي، شاعر المهجر الأكبر،(الأعمال الشعرية)الكاملة، دار العودة، بيروت،1996،ص: 137.

ربط الشاعر في هذا المقتطع جمال النساء بالجسد الجميل غير المصطنع، وبخلق المرأة الذي يمنح الجمال حقيقته، فاتخذ من تصنع جمال الجسد، وغياب الأخلاق مظاهر قبح في المرأة، ثم عمم في النساء قبح طبع الكذب، فكانت مظاهر قبح المرأة الحسية في صور تصنّع المرأة، ومظاهر القبح المعنوية بتدني الأخلاق والكذب، وهي سمات قبح مرتبطة بالنظرة الاجتماعية للمرأة غير المرغوبة إذ يرتبط التصنع بالسخف، والتفاهة وتشوه الجمال الطبيعة في جسدها وفي أفعالها، و بتفاهة الكذب في أخلاقها، فالجمال المصنع مذموم لديه ويستوي مع القبح في صورة المرأة فهو يرفض جمالها لأنه وفق رؤيته ليس بالجمال.

وقد عمد الشاعر في هذا المقتطع إلى تغيير مجرى تغنيه بجمال المرأة، ليعبر عن رؤيته الفردية لجمال المرأة وطبائعها، ويستجيب بذلك إلى فكرة "أن الإنسان إذ يصوغ انطباعاته فإنه يتحرر منها، وإذا يجسدها يفصلها عن ذاته فيسمو عليها، فوظيفة الفن كمحرر ومطهر هي مظهر آخر، وصيغة أخرى لكونها نشاطاً، وما كان النشاط، الفعل، محرراً إلا لأنه يطرد الانفعال، وهذا يفسر لنا أيضاً لم اعتاد الناس أن يصفوا الفنان مرة بالهوى الجامح و الحساسية الزاخرة، ومرة بركود الحس و الصفاء الأولمبي "1. فابتعد الشاعر عن قيمة الجميل ليظهر قيمة القبيح في سياق قصيدة واحدة، ليجعل القصيدة تشع رؤيته الفكرية لجمال المرأة.

ويطالعنا " إيليا أبو ماضي في قصيدة "موميات" التي كتبها إثر إقامته في فندق، بتصوير مظاهر القبيح الحسية والمعنوية بمشهد مجموعة نساء يقمن في ذلك الفندق، فلم ير فيه غير العجائز، فاتخذ تصوير قبحهن الحسي والمعنوي مرتكزاً للسخرية، فغلب على القصيدة انتماؤها إلى قيمة السخرية، إذ جسدت مظاهرها الحسية والمعنوية، لكن السخرية هنا قائمة على تصوير القبيح، وهو مذهب سار عليه الكثير من الشعراء في مختلف العصور، إذ لم "تقتصر النظرة الجمالية العربية إلى المرأة على مواطن الإثبات والإعجاب فحسب، وإنما تتجلى في التعبير عن النفي والرفض أيضاً نفي المظهر الجميل، ورفض المواقف الفظة، والسلوك غير المحبب"[2]، فالسخرية قيمة ترتكز على القبح الذي يثير الإضحاك لشدتها، وأحياناً يكون القبيح أساس السخرية، وإن كانتا قيمتين مختلفتين،لكن السخرية تتخذ القبح مادتها وتبالغ في إظهار تشوهه حتى يبلغ الإضحاك .

وسنقف عند الأبيات التي برز فيها مضمون القبيح الذي استدرج به السخرية، حيث وصف في سياق تهكمه من تلك النساء انتفاء جمالهن وذبول حيويتهن، فأظهرنه موميات مغطاة بثياب الأطلس والحرير:

"وَلا جَمالٌ أَنـــــيقٌ وَلا شَبــابٌ نَضيرُ
بَل مومِياتٌ عَلَيها أَطـــــالِس وَحَريرُ "3

تتجلى المظاهر الحسية للقبيح في هذا المقطع بمظاهر حسية تجسد انتفاء الانسجام والاعتدال والجمال، وظهر ذلك بوصف القبح التي آلت إليه عيونهن، فغارت في محاجرها وهن مستمرات في الغور، فتلاشى جمال تلك العيون وجنح مظهرها إلى القبيح الذي بدا بتشوه الجميل، فتحولت محاجر تلك العيون إلى مغاور وصحارى وكهوف، وهذه المظاهر تجسد مفهوم القبيح وفق نظريات علم الجمال في تجريد شكل المرأة من انسجامه واعتداله،

1 – علم الجمال: بنديتو كروتشه، عربه: نزيه الحكيم، مر: بديع الكسم، المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الآداب و العلوم الاجتماعية، المطبعة الهاشمية، عمان، 1963، ص: 30.

2 – في النقد الجمالي، رؤية في الشعر الجاهلي، د. أحمد محمود خليل، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1996، ص : 52.

3 – ديوان إيليا أبو ماضي، ص: 332.

والشاعر وإن كان بهدف التهكم يقصد إظهار القبيح فإنه يضمن مذهبه منطق الجمال العابر في جسد المرأة "فهو مع تقدم عمرها تتضاءل نسب جمالها شيئاً فشيئاً حتى تضمحل وتزول وتذبل"1 .

ويستطرد الشاعر في تجسيد قبح شكل النسوة فيصور خصورهن قد زالت، وصارت أجسادهن مستويات بلا تقاطيع تظهر الانسجام والتناسق مما جعلها مفتقدة للجمال مشوهة الهيئة مثيرة للسخرية بسبب انتفاء التناسب و التناسق في أعضاء أجسادهن :

" أَمــا العُيونُ فَغارَت وَلا تَزالُ تَغورُ
مَغاوِرٌ بَل صَحارى بَل أَكهُفٌ بَل قُبورُ
وَالخَصـــرُ عَفواً وَ صَفحاً لَهُنَّ خُصورُ "2

ويقرر الشاعر في مقطع آخر أن القبيح أخذ مداه في هيئات تلك النسوة، فيعمل على تصوير مظاهر القبيح الحسية في هيئات تلك النسوة فعمل التصوير على بعث الاشمئزاز من مظاهرهن الجسدية، فبدت تلك النسوة يصبن القلب بالحزن، فيربط القبيح بالمقزز و يربط التشوه الحسي بالمعنوي، فهن مكتئبات مثل الصخور، و أفواههن مشوهة، فلا يظهر فيها الابتسام، وإن ظهر فهو بلا شعور:

"كُلُّ شَيءٍ قَبيحٌ وَكُلُّ شَيءٍ حَقيرُ
وَكَيفَ يَفرَحُ قَلبٌ رَجاؤُهُ مَدحــورُ
وَ هُنَّ مُكتَئباتٌ كَأَنَّهُنَّ صُخورُ
لا يَبتَسِمنَ لِشَيءٍ أَما لَهُنَّ ثُغورُ
بَلى لَهُنَّ ثُغورٌ وَإِنَّما لا شُعورُ" 3

ترسم هذه الأوصاف التي جاء بها الشاعر المظاهر الحسية لقيمة القبيح في صورة المرأة فجعل العيون غائرة، والخصور مستوية، والأفواه ميته، الابتسامات جامدة، وهي مظاهر حسية محولة عن الجميل بالتشويه والانحراف إلى القبح، وانتفاء التناسب، والانسجام والرقة، أما المظاهر المعنوية للقبح فبدت بذبول الحيوية والشباب، وافتقاد الشعور، وإشاعة الكآبة، وباجتماع تلك المظاهر تقدم هذه الأبيات فحوى قيمة القبيح التي تولد الإحساس بالنفور و الاشمئزاز.

وتظهر قيمة القبيح في صورة الرجل عند "إيليا أبي ماضي" في قصيدة " شكوى فتاة"4 وهي مصوغة بأسلوب القص الشعري نظمها الشاعر بلسان فتاة أرغمها ذووها على الاقتران برجل طاعن" يدافع فيها عن المرأة وتزويجها ممن يكبرها سناً "5، والقصيدة تحكي مأساة زواج فتاة من رجل غني كبير السن يظنه الناس حين تمشي معه أباها، والفتاة بتهكم مرير، ترد عليهم: صدقوني أنه غير أبي، وتدعوهم أن يكفوا عن لومها، فمرارة

1 – فصول في علم الجمال: عبد الرؤوف برجاوي، دار الآفاق الجديد، بيروت،1981، ص: 207.

2 – ديوان إيليا أبو ماضي، ص: 334.

3 – المرجع السابق ، ص: 334، 335.

4 – ديوان إيليا أبو ماضي،ص: 142.

5 – اتجاهات الشعر العربي الحديث في النصف الأول من القرن العشرين:د. منصور قيسومة، الدار التونسية للكتاب،تونس، ط1،2014، ص:143.

عيشها لو مزج بماء لم يستعذب، فقد تجاهل أهلها أنها درة ظلمت في البيع فأرخصوها بثمن الخرز، ثم تنقل الفتاة لتصف المظاهر الحسية و المعنوية لهذا الرجل التي تجسد قيمة القبيح في صورة الرجل:

ليت ما بيني وبين النوم من فرقة بيني وبين الأشيـــب

يا له فظا كثير الـــحزن لا يعرف الأنس قلـيل الطّرب

يخضب الشّعر ولكن عبثاً ليس تخفي لغة المستعرب 1

تتجلى المظاهر الحسية للقبيح في الرجل الهرم في هذه القصيدة بانتفاء تناسب سن الزواج بين فتاة يانعة الشباب، ورجل مسن يخاله الناس أباها، ولذلك كانت مظاهر شيخوخة الرجل وشيبه مظهراً قبيحاً في سياق انتفاء تناسب الاقتران لا قبحاً للشيب و الهرم لذاتهما، حيث "العملية الجمالية تتعلق باللحمة المثالية التي تكون فيها الأشياء الطبيعية"2 وهنا غياب الطبيعية جاءت من غياب تناسب الاقتران عمرياً.

فقد جاءت قيمة القبيح في سياق إدانة الشاعر العادات التي تذل المرأة في العالم العربي وتسلبها كرامتها وعزتها ونضارتها وحلمها الجميل بالحياة"3، ولذلك في هذا السياق جاءت المظاهر الحسية للرجل على هيئة الهرم و الشيب و الفظاظة و تخضيب الشعر، وهي سمات جسدية لا تناسب جمال ملامح الشباب الحسية، أما المظاهر المعنوية للقبيح في صورة الرجل فقد بدت بانتفاء الأنس و الطرب، و بالخشونة ودوام الحزن، وتضافرت المظاهر الحسية والمعنوية للقبيح في تشكيل صورة رجل منحرف عن صفات جمالية واضحة التشوه، متجهة اتجاهاً سلبياً للجميل فتثير الإحساس بالقبيح والنفور منه، ونجد الفتاة تتمنى أن يفارقها هذا الأشيب مثلما ما فارقها النوم لقبح كونه قريناً لها.

وترتبط قيمة القبيح في هذا المقطع برؤى الشاعر الفكري التي تنهج منهج الإصلاح الذي عني به شعراء الرابطة، فهو يدين العادات والتقاليد التي تسلب المرأة حقها باختيار الزوج، وهو يوظف قبح الرجل ليظهر انتفاء التناسب في الزواج بين فتاة وشيخ هرم انسجاماً مع دعوته الإصلاحية للمجتمع وتحريره من عادات قبيحة تقبح الوجود في مثل هذه الحال.

لم تكن قيمة القبيح في صور الإنسان على سعة في شعر "إيليا أبي ماضي" لتشكل نصوصاً مستقلة، لأن تجسيد القبيح لم يكن من همومه الشعرية، وقضاياها الفكرية فكان أكثر انشغالاً بالقضايا الجمالية الإيجابية، وظهرت عنده في أسيقة موضوعات أراد منها التندر من مظاهر القبح المعنوية والحسية في مشاهد محددة، كان يهدف منها التنفير من تلك المظاهر والدعوة إلى الجمال والخير في سياق رؤيته الإصلاحية للمجتمع في حين، وفي أحيان جاءت في سياق التندر والظرافة، فكانت على تماس مع السخرية .

القبيح في شعر نسيب عريضة:

طبعت نفس نسيب عريضة الغريقة بالأسى والقلق واليأس قصائده بسماتها وهواجسها فصبغتها صبغة مأسوية، ومالت بها إلى تأملات تتسع في تعميق صورة هوة تلك النفس والأحوال المحيطة بها، وأسهمت النزعة الرومانسية التي ارتكز شعره إلى مرتكزاتها الفلسفية بتظهير تمجيد آلام البشر، فلم تطاوعه نفسه في الخروج على

1 – ديوان إيليا أبو ماضي، ص: 143.

2 – علم الجمال: بنديتو كروتشه، ص: 136.

3 – اتجاهات الشعر العربي الحديث في النصف الأول من القرن العشرين،ص:143.

أجواء الأسى كثيراً، وعلى الرغم من هذا السكون في بحر الأسى إلا أن نسيب عريضة لم يصدر عن نفس حانقة ساخطة، ولم تتوار وراء جذوة نقد ناقمة تفضل الهزء و السخرية، و التندر بمظاهر القبيح، فالشاعر لا يعنى بالهجاء و الحط من شأن الآخر لتظهر عنده موضوعات تعنى بتجسيد قيمة القبيح في صور الإنسان، ولم يظهر عنده نزوع إلى تأمل مظاهر القبيح في الإنسان لذمها قصد الارتقاء إلى مظاهر الجمال، شأن من اعتنى بتجسيد القبيح، فلم ينسجم مع فلسفته الإنسانية، وكأنه يأبى أن يتخذ تجسيد القبيح شعرياً سبيلاً إلى التنفير، حيث يغلب على تجسيد قيمة القبيح في الإنسان تصوير تشوه مظهر الإنسان وملامحه، وهذه القيمة بالأساس ينشط في إبرازها الشعراء المولعون بالهجاء و السخرية، ومن في أنفسهم طوابع الهزل، وتنعدم عند الشعراء الذين يجافون هذه الطباع، ويستغرقون بآلامهم، و نلمح مظاهر لقيمة القبيح في صور الإنسان عند نسيب عريضة في أسيقة شعرية تتضمن قيماً أخرى غير القبيح، فهو لا يفرد قصيدة أو مقطعاً لتجسيد قيمة القبيح في الإنسان، وغالباً ما كانت إما تتمات لصور أخرى، أو جسوراً في موضوعات شعرية غير القبيح، مثلما نجد في قصيدته " علقت عودي" التي تجسد مظاهر قلق مأسوي، يتخللها تصوير قبح حاله، مبرزاً تشوهاً معنوياً للإنسان:

كأن في داخلي قبراً بوحشته دفنت كلّ بشاشاتي وإيناسي1

تتجلى مظاهر القبيح المعنوي بصور شعرية قامت على تجسيم حزنه، وألمه على هيئة قبر موحش يطوي في ظلامه البشاشة، و الإنس، و يوحي دفنه إياهما في قبر مظلم بتشويه مظاهر جميلة تؤدي إلى نشوء القبيح .

و كثيراً ما يصور الشاعر أحواله بالقبر الذي يجسد الموت، وبشاعة مظاهر انتفاء الحياة وانعدامها، وخرابها، والكشف عن هذا الخراب الذي لحق الحياة جراء ظلم يتطلب تجسيد قبحه لأن الشعر وفق انتمائه الفكري للواقعية النقدية يعمل بوحيها على "وضع القبيح مكان الصدارة من الاهتمام الفني وذلك لأن الحياة التي يسود فيها ظلم المجتمع وينعكس في الفن ما يتعارض مع المثل الأسمى لجمال حياة الإنسان على الأرض، يتطلب في هذه الحالة الكشف عن ذلك"[2] فيتصل وصفه بتصوير مظاهر قبح النهاية، و فناء الحياة والجمال:

اجعلوا قبري مكاناً مقفراً بين الوهادِ ماتت الأحلام فيه فتردى بالسّواد

ودوتْ فيه همومٌ طاردت طيف الرّقاد وسقت عاصفة اليأس به ترب الرّشاد

وجرت ديدانه مثل الأفاعي للطراد تقضم الأخضر و اليابس فيه و الجماد 3

يرسم الشاعر صورة توحي بمظاهر القبيح المعنوية:(الأسى، الوحشة، اليأس)، ومظاهر حسية توحي بالقبيح: (القبر، الموت، القفر، السواد، الوحدة، الديدان، الأفاعي، اليباس، الجماد)، فتبعث جملة المظاهر المعنوية والحسية الإحساس بالقبيح المصطبغ بأطياف المأساة والخواء، ويجسد مظاهر قبح الإنسان الذي افتقد مظاهر الحياة، وراح يتجيف جراء الحزن والإحباط، ويعيش قبح الوجود والحياة، وهو في الشعر مصوغ بأسلوب جمالي، لأن " الفن لا ينحصر في التعبير عن الأشياء و الظواهر الجميلة فقط، إنه يعيد صياغة القبيح والداني صياغة

1 – الأرواح الحائرة: نسيب عريضة، مطبعة جريدة الأخلاق نيويورك،1946، ص: 138.

2 –مفهوم الجمال في الفن والأدب، ص: 134.

3 – الأرواح الحائرة، ص: 144.

جميلة وذلك لكي يعوض من خلال قيمة جمال التعبير عن قبح الشيء"[1] وهذا ما بنى الإحساس بقبح مشهد القبر و الموت.

لقد ارتبطت رؤية الشاعر للقبح بفلسفته عريضة الجانحة إلى قلق يبعث فيه رؤى مظلمة ميزت شخصيته بطوابع مأسوية ناتجة من حيرة وشك وتشاؤم. فنشأ إحساسه بالوحشة من الوحدة التي دفعته إليها أفكاره الصوفية التي تشبعت ذاته به، فأغرته بالعزلة التي يجهد كثيراً في تأكيدها بوصفها خلوة مع الذات و نأي عن ظلمات الواقع وهرباً منه، فالوحشة في النص ترتد إلى منشأ صوفي تأثر به الشاعر " فالخلوة صفة أهل الصفوة والعزلة من أمارات الوصلة ولا بد للمريد في ابتداء حاله من العزلة "2.

ونجده في موطن آخر يرسم صورة لقبح الإنسان الضائع الذي يهيم مثل أعمى في الليل، فيزداد ظلامه ظلاماً، فضلاً عن أنه جائع ولا يحسن السؤال:

أهيم في الليل مثل أعمى جاع لا يحسن السؤال3

تتجلى قيمة القبيح في هذا البيت بتجسيد مظاهر حسية لقبح الفقر، و الظلم، فيصورها في لوحة تتمركز على صور إنسان أعمى يهيم في الليل، أو جائع لا يحسن السؤال، وهي صورة تعكس عمق إحساسه المأسوي بقبح واقع تيه الإنسان وبؤس حياته، وتمتد مظاهر القبيح إلى لوحة تجسد قبح حال الإنسان الضائع، ويجعلها ترتبط بالمأسوي، فلم يتجه بالقبيح نحو السخرية بقدر اتجه به نحو المأسوية :

بسط اليأس فوقهن ظلامه
ثم لا ظلّ لا بلابل تشدو
لا هناء لا راحة لا سلامة
ثم تحت الظلام يمسح دمعاً
لمساكين يشتكون الظلامة
تتجلى في وجهه صور العيش
وأشباح ما رآه وشامه
سمة الحزن كللته فإن يبسمْ
سرى حزنه إلى الابتسامة 4

تبدأ هذه الأبيات برسم قبح مظاهر معنوية للقبيح، فيجعل الحياة خالية من الأمل والجمال، والطمأنينة، والبؤس والفقر والحزن، ويدمج تلك المظاهر بمظاهر حسية تنعكس من وجه ذلك الإنسان البائس فتوحي بقبح حياته وعيشه، فيتجلى فيه صور العيش المزرية، والأشباح، وتكلل بسمته بالحزن، فيعكس قبح واقعه، وتشوهه الداخلي والخارجي، وهذا التشوه يرتبط بالقبيح، لأنه ينافي جمال الحياة و نضارة الإنسان .

1 – مفهوم الجمال في الفن والأدب،ص : 133.

2 – الرسالة القشيرية: عبد الكريم القشيري،تح: د. عبد الحليم محمد،د. محمود بن الشرف، دار المعارف، القاهرة، 1995،ص 176.

3 – الأرواح الحائرة،ص: 180.

4 – الأرواح الحائرة، ص: 40.

ونجد الشاعر يلهث كثيراً وراء الصور التي تمجد الألم الروحي، وكثيراً ما يكون مصدرها قبحاً في الوجود الذي لا ينسجم مع فلسفة الشاعر المثالية، فهو شأن كثير من" الشعراء الذين اقتحموا على الفلسفة بابها وسكنوا العقل والجوهر" 1. فهو ينظر إلى الوجود نظرة جمالية تتجلى بالمحبة والخير والسلام، وافتقاد هذه الرؤيا في الواقع يجعله يزدري صورها، فالقبح يأتي من فلسفته للوجود ورفضه لتشوهه، لقد انطلق عريضة في تجسيده الشعري للقبح من وحي فلسفته. إذ " الفن يمتلك الحق الجمالي وإعادة صياغة الجميل و القبيح في ظواهر الحياة، فإن موقفه إزاء الجميل و القبيح يصبح مختلفاً فمثلاً إعادة صياغة الجميل وعرضه للناس، فإن ذلك يعني مضاعفة جمال العالم الحقيقي وكذلك مضاعفة سعادة الإنسان التي يكتسبها من مشاهدته وتمتعه بالجميل أما إعادة صياغة القبح والجوانب السيئة في الحياة فهي غير مرغوبة وهذا يعني القبح كموضوع للتصوير الخاص بالفن لا يمكن مقارنته مع قيمة الجميل" [2]، وفق هذا المفهوم يكثر الجميل عند الشاعر ويقل القبيح، ووجوده في شعره فيما عرضنا تنفير منه ورفض أنه نصير الجميل، ورفض موقف شعري ينسجم وفلسفة الشاعر.

ويصور عريضة في قصيدة أخرى القبيح بمظهر تشوه مظهر العين الحسي، فأظهرها تركن إلى سبات وخمول، وتحولت إلى صخرة صماء تنتفي فيها مظاهر الحياة والنضارة، وترتكس إلى التصحر والجدب، ويدعوها أن تكرم بالدموع لتنبت النبات وتتحول واحة، لا أن تستسلم لجمودها وتتجمد، لكن وراء جدب العين رؤية مأسوية عميقة غارقة بالشؤم واليأس إذ الكرم بالدمع تعبير عن فيض مأسوي، وهذا يعني القبح تحول إلى تهكم مرير يملك على الشاعر رؤيته لشدة غرقه باليأس:

يا عينُ ما لكِ في سباتٍ رشي الدّموع على النّبات
كوني بربك واحـــــــةً لا صـــخرةً في الجائيات 3

يزاد عريضة انفعالاً ببؤس الواقع، والشعور بالاغتراب الروحي، فيزيد في قتامة المظاهر التي تنشط في تكريس البؤس المادي الذي طغى على حياة الإنسان، والشعر بوصفه فناً "يجسد انفعالاً صادقاً وينقله إلى الآخرين "4 وعريضة ينطلق من انفعاله في رسم لوحة شعرية تنحت تمثالاً يمثل رمز ضنك عيشه، وبؤسه، فأوصى أن يكون على هيئة يدين تمتدان في الفضاء، تكون اليمنى مبسوطة تشحذ الحظ لتشبع جوع نفس والجوع يأبى، واليسرى مفتوحة تحمل قلباً مدمى و الناس تعرض عنها:

أقيموا على قبري من الصّخر دمية بها رمزُ عيشي بعد موتي يعرض
يدان بلا جسم تمدان في الفضا دانٍ من صخر على القبر يربض
فيمناهما مبسوطة تشحذ الـجدا لتشبع جوع النّفس و الجوع يرفض
ويسراهما فيها فؤاد مضـــــرّجٌ تقدّمه للنّاس و النّـــــاس تعرض5

1 – فصول في علم الجمال، ص: 69.

2 – د. الرشيد عدنان ، 2002 – مفهوم الجمال في الفن والأدب . العدد ،101كتاب الرياض ، الرياض، السعودية. ،ص: 133.

3 ـ عريضة نسيب ، 1946 – الأرواح الحائرة . ، مطبعة جريدة الأخلاق، نيويورك ، ص: 200.

4 – الجندي محمد ، 1985 – أطروحات جمالية . ط1، طبعة خاصة، دمشق . ، 1985، ص: 19.

5 – عريضة نسيب ، 1946 – الأرواح الحائرة . ، مطبعة جريدة الأخلاق، نيويورك ، ص: 140.

يشكل التمثال الرمز مظهراً حسياً للقبيح، يجسد تشويه مظهر الإنسان، فهو مختصر بيدين ممدودتين، وهو منبوذ تعرض الناس عنه، وهو يعرض قلبه المدمى، وتتصل مظاهر القبيح فيها بعتبات مأسوية للحال المزرية التي يعيشها الشاعر، فتمزج البؤس بحزن قاتم، وتوحي بتلاشي الوجود الإنساني الذي يختزل بقبر تنتصب عليه هيئة يدي الإنسان، يتسول عطف الناس، وهم يلوون النظر عنه، فالقبيح هنا يندرج تحت مأساة الوجود الخائب. وفي اللوحة ترميز صوفي ظاهر، فقد اقتفى نسيب عريضة في تجلياته الشعرية مذهباً فكرياً يوغل في الصوفية، كثيراً ما انتهجه شعراؤها حيث "اصطنعوا الأسلوب الرمزي طريقاً يترجمون به عن رياضتهم الصوفية، ليس في الطوق تبنيه دون اللجوء إلى صور وشواهد منتزعة من عالم الحس وهذه الصور والأمثال تكشف عن معان وتوحي بصور أعمق مما يبدو على ظاهرها"1.

فقد وظف عريضة رمز التمثال بقصد الابتعاد عن تصوير مباشر يجسد قبح مظهر الإنسان؛ لأن عريضة كان منسجماً مع تفكيره؛ بأن القبح في الأفعال، ولذلك مال إلى تصوير مظاهر أكثر توغلاً في السلوك و لفعل أكثر من عنايته بتصوير تشويه الشكل، وتدل الأمثلة السابقة على أن نسيب عريضة لم يغفل عن تجسيد مظاهر من قيمة القبيح في صورة الإنسان، لكن لا تشكل لوحات شعرية تتضمن مقومات قيمة القبيح بصورة تجعلها لوحة خالصة له، ونأى الشاعر بسبب اتجاهات الفكرية عن تجسيد اللوحات الخالصة للقبيح في صورة الإنسان بدوافع من اتجاهه الفكري و الفني، فقد تأثر عريضة بفلسفة ابن سينا الصوفية في النفس التي كانت فحواها "أن النفس و الروح جوهر سام هبطت إلى الجسد من عالمها السامي ومنذ ذلك الهبوط وهي تحن وتشتاق للرجوع إلى المصدر السامي الذي هبطت منه"2 إضافة إلى النزعة المثالية التي كان عريضة يصدر عنها، وقد نتجت خن الغربة الروحية، وأثرها في تكوين شخصيته، فكان يؤثر الابتعاد عن هجاء الإنسان بتصوير تشويه صورته وانحراف ملامح جسده، وأعضائه نحو القبح، فلم تأخذ قيمة القبيح في هذا المجال في شعره مدى واسعاً، وكان في أغلبه صوراً عابرة في أسيقة قيم جمالية أخرى.

1 – ر. أ. نيكلسون، د: شريبه نور الدين ،2012 – الصوفية في الإسلام . الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 2012، ص: 101.

2 – ينظر: 17–سيد بي جمال رجب ، 2000– نظرية النفس بين الغزالي وابن سينا . الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ،ص: 137،109.

النتائج:

1- تجلت قيمة القبيح عند الشعراء الثلاثة وفق المفهوم الجمالي الذي يرى القبيح بتشوه المظهر أو السلوك وانحرافه عن الاعتدال والانسجام والتناسق ويجسد شكلاً وفعلاً منفرين منافيين للجميل.

2- تفاوت توظيف القبيح بين الشعراء الثلاثة فبينما ذهب نعيمة إلى رؤية القبيح في الفعل والسلوك للإنسان وليس مغرياً لنعيمة أن يجسده القبيح في الشكل ولو بهدف التنفير منه انسجاماً مع فلسفته، بل مال إلى النظر إلى القبيح من منظور فلسفته في وحدة الوجود التي يتساوى فيها الدود مع الشهب، وفق هذه الفلسفة انطلق نعيمة يجسد وعيه الجمالي و ظهر عنده القبيح وفق مظاهره المعنوية وشيء من الحسية في تصوير واقع الإنسان العربي وبؤسه في تلك المرحلة.

3- كان إيليا أبو ماضي أكثر تناولاً لصور من القبيح، فصور قبح المرأة الحسي والمعنوي، وقبح الرجل الطاعن في السن ويتصابى، فرسم صوراً تحمل مضمون قيمة القبيح وتجلياته.

4- عني نسيب عريضة بتجسيد قيمة القبيح في أشعاره من غير توسع فأبرز مظاهر القبيح المعنوية والحسية في صور تشوه الإنسان الغارق بالبؤس والظلم والقهر والفقر.

5- ارتبطت قيمة القبيح عند الشعراء الثلاثة بفلسفته للوجود، والنزعة الإصلاحية التي انطوت عليها مضامين رسالتهم الشعرية، فلم يكن القبيح عندهم ذماً وتشفياً وتندراً وازدراء، بل كان دعوة للتنفير من القبيح بقصد الارتقاء إلى الجمال هدفهم الأساسي في تجاربهم الشعرية.

6- أسهم تجسيد القبيح عند هؤلاء الشعراء في التنفير من المظاهر غير المرغوبة في الفعل والشكل فدعوا إلى تجاوزها استجابة إلى نزعتهم الإصلاحية.

الخاتمة:

نستدل من جملة الأسيقة التي عرضنا فيها لمظاهر قيمة القبيح عند مجموعة شعراء الرابطة القلمية " ميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي، ونسيب عريضة " على أنهم يشتركون بنأيهم عن التوسع في تجسيد القبيح، وتناولوه في أسيقة لأغراض أخرى، فكانت طباعهم أميل للبعد عن الهجاء الذي يشكل الميدان الرحب للقبيح إذ كثرت حضورها في أسيقة الهجاء.

وظهرت شذرات من القبيح في أشعارهم تجسد قيمتها الجمالية وفق نظريات علم الجمال التي تراها نقيضاً للجميل وتشوهاً للانسجام والاعتدال والتناسق.

كانت قلة العناية بالتوسع ناشئة من دوافع فكرية فلسفية انطوت عليها تجاربهم الشعرية التي تميل إلى التحليق في آفاق النفس وسبر خباياها، أو تسمو في عوالم الجمال والسحر والفلسفة التي تتضافر جميعها في إبعاد نفوسهم عن الخوض في مظاهر القبيح .

وكان للنزعة الإنسانية التي شكلت ركناً من أركان رسالتهم الشعرية سبباً في قلة لوحات القبيح عندهم لأن القبيح في صور الإنسان تجسيد للتشوه الخلقي و الأخلاقي وهم لا يرون تشوع الخلق سبباً لذم الإنسان، وتلك النزعة تجذب شاعريتهم إلى الجمال والخير وحب الإنسان وتمجيد صوره.

وفق هذه الخصائص تجلت قيمة القبيح في شعر نماذج من شعراء الرابطة القلمية وهم ميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضي ونسيب عريضة.

المصادر:

- **الدواوين الشعرية :**

1- **عريضة** نسيب ، 1946 – **الأرواح الحائرة** . ، مطبعة جريدة الأخلاق، نيويورك.

2- **أبي ماضي** إيليا ديوان ، 1996 – **شاعر المهجر الأكبر، (الأعمال الشعرية) الكاملة: إيليا أبو ماضي،** دار العودة، بيروت.

3- **نعيمة ميخائيل** ، 1988 – **همس الجفون** ، ط5 مؤسسة نوفل ، بيروت .

- **المراجع العربية :**

4- **د. قيسومة** منصور ، 2014 – **اتجاهات الشعر العربي الحديث في النصف الأول من القرن العشرين** ، الدار التونسية للكتاب، تونس.

5- **الناعوري** عيسى: 1977 ، **أدب المهجر** . ط 3 ، دار المعارف ، القاهرة .

6- **نعيمة** ميخائيل ، 1989 – **أحاديث مع الصحافة** . ط 2 ، مؤسسة نوفل، بيروت.

7- **الجندي** محمد ، 1985 – **أطروحات جمالية** . ط1، طبعة خاصة، دمشق .

8- **عطوي** فوزي ، 1988 – **التربيع والتدوير الجاحظ** . ط1 ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت .

9- **عطوي** فوزي التربيع والتدوير ،1987 – **الجاحظ** . الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، (د.ت).

10- : **د. محمد** عبد الحليم **د. بن الشرف** ،1995 – **محمود الرسالة القشيرية عبد الكريم القشيري** ، دار المعارف ، القاهرة .

11- **د. قباوة** فخر الدين شرح شعر، 1981 – **زهير بن أبي سلمى** . ط1، دار الفكر، دمشق ، ودار الفكر المعاصر، بيروت .

12- ر. أ. **نيكلسون**، د: **شريبه** نور الدين ،2012 – **الصوفية في الإسلام** . الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة .

13- **برجاوي** عبد الرؤوف ،1981 – **فصول في علم الجمال** . دار الآفاق الجديد، بيروت .

14- **د. خليل** أحمد محمود في النقد الجمالي،1996– **رؤية في الشعر الجاهلي.** ط1 ، دار الفكر، دمشق .

15- د. **مندور** محمد ،1988- **في الميزان الجديد** .ط1، مؤسسات ابن عبد الله، تونس.
16- **سالم** محمد عزيز نظمي ، 1985 - **القيم الجمالية**. دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
17- **د. حلبي** أحمد طعمة ، 2006 - **المفاهيم الجمالية في الشعر العباسي** . وزارة الثقافة، دمشق.
18- **سيد بي** جمال رجب ، 2000- **نظرية النفس بين الغزالي وابن سينا** . الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.

- **المراجع المعربة:**

19- **كروتشه** بنديتو ، **الحكيم** نزيه ، **الكسم** بديع، 1963 - **علم الجمال** . المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، المطبعة الهاشمية، عمان .
20- **لالو** شارل ، تر: **مصطفى** ماهر ، تق : د. **يوسف** مراد ، 1959- **مبادئ علم الجمال الإستطيقا** ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الجلبي، القاهرة .

- **الدوريات والمجلات والصحف:**

21- **إيكو** أمبرتو ،**الحسن** لينا هويان ، 2008 - **من ثقافة الجمال إلى القبح** .العدد 636 ، جريدة الثورة السورية .
22- د. **الرشيد** عدنان ، 2002 - **مفهوم الجمال في الفن والأدب** . العدد ،101كتاب الرياض ، الرياض، السعودية.
23- **فياض فؤاد** ، 2017 _ **شتات التجليات الجمالية للقبح في الأدب الجزائري القديم** . المجلد 3 عدد (2) ، مجلة جامعة الحسن بن طلال .
24- **الشوربجي أحمد** أسامة لطفي ، 2021 _ **جمالية القبيح في شعر دعبل الخزاعي** ، العدد 31 ، مجلة الدوريات المصرية ، القاهرة .

الرسائل الجامعية

25- **الأحمد** محمد بشير ،2022 _ **تجليات القبح في الشعر العربي السوري المعاصر** : نماذج مختارة ، جامعة البعث .
26- **محمد** الديبو النجار ، 2022 _ قيمة القبيح في شعر قيس ابن الملوح ، رسالة اعدت لنيل درجة الماجستير . جامعة البعث .